خطبة صلاة الجمعة 18/ 2/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الإعراض عن الجاهلين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة العشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم: **الإعراض عن الجاهلين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به**

أيها الإخوة:

سبق أنّ الخُلُق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

يتعرض المرء في حياته لجاهل يزعجه أو أحمقٍ يتطاول عليه، فهو بين خيارين إما أن يجاري الجاهل في جهالته والأحمق في حماقته وإما أن يعرض عنه فيحفظ اسمه ومكانته ووقته.

والإعراض عن الجاهلين خلقٌ قرآني رفيع، أدّب الله تعالى به من أحب من عباده لئلا تُنْزِلَ الجهالة رُتبَهُم ولا تأخذَ الحماقة أدبهم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55].

وإذا كان حديث اليوم عن الإعراض عن الجاهلين عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-روى المقريزي في إمتاع الأسماع بعد توزيع النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين: قال مُعَتِّبَ بْنَ قُشَيْرٍ المنافق يومئذ، ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم يعطي تلك العطايا: إنها لعطايا ما يراد بها وجه اللَّه!! فأخبر عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم بذلك فتغير لونه، ثم قال: يرحم اللَّه أخي موسى! قد أوذي بأكثر من هذا فصبر.

إنها صورة من صور إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عن الجاهلين والمنافقين.

2- وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أسامة بن زيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكاف على قطيفة فَدَكِيَّةٍ وأردف أسامة وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين، ومن المشركين عبدة الأوثان، واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدابة، خمّر ابن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله عز وجل، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسنَ مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشَنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل

على سعد بن عبادة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حُبَاب، يريد عبد الله بن أبي؟ قال: كذا وكذا" قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيرة على أن يتوجوه فيُعَصِّبُوه بالعِصابة، فلما رد الله بالحق الذي أعطاك شَرِقَ بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمره الله عز وجل، ويصبرون على الأذى.

إنها صورة من صور إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عن الجاهلين من المنافقين.

3- أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عبد الله بن سلام قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع زيد بن سعنة تمراً إلى أجل معلوم فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جِنازة رجل من الأنصار، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة قال زيد بن سعنة: أتيته، فأخذت بجوامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا لمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: فنظر إلي عمر بن الخطاب، وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني بطرفه وقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع، وتفعل به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر، فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته، قال زيد: فذهب بي عمر، فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة؟ فقال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك، فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ فقلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت، وتفعل به ما فعلت؟ قلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد خَبَرْتُهُمَا، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي – فإني أكثرها مالاً – صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

إنها صورة من صور إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عمن جهل عليه.

والحاصل أنّ الإعراض عن الجاهلين خُلُقُ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون هذا الإعراض خلقًك، وأن تكون معروفاً بذلك.

قال عصام بن المصطلق: «دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي- عليهما السلام - فأعجبني سمته، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب، قال: نعم، فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ثم قال لي: خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، فتوسم فيَّ الندم على ما فرَطَ مني فقال: قال لا تثريب عليكم اليوم

يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم. فقال: حياك الله وبياك، وعافاك؛ انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء الله،

قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي، ثم تسللت منه لواذا، وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه».

الإعراض عن الجاهلين سمة الكبراء وخلق الأمراء وامتثال لرب الأرض والسماء.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر ابن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله».

الإعراض عن الجاهلين سمة الكبراء وخلق الأمراء وامتثال لرب الأرض والسماء.

أراد أحد الجاهلين يوماً أن يتحامق على الشيخ أحمد كفتارو فبينما كان الشيخ ماراً بسيارته في حارة ضيقة وقف هذا الجاهل معترضاً الطريق يرقص ويتمايل ليمنع سيارة الشيخ من المرور فما كان من الشيخ إلا أن أوقف سيارته وأخرج جريدة كانت معه ليطالع فيها الأخبار والمقالات إلى أن جاءت سيارة أخرى رأى سائقها اعتراض هذا الرجل الطريق فنزل وزجره وأبعده عن طريق السيارة ثم اقترب من سيارة الشيخ ليقول له تفضلوا يا مولانا، فسارت سيارة الشيخ وبقي الجاهل يمضغ غيظه.

الإعراض عن الجاهلين سمة الكبراء وخلق الأمراء وامتثال لرب الأرض والسماء.

أيها الإخوة:

مما يعين على التحلي بخلق الإعراض عن الجاهلين: شغل الوقت بالنافعات، وصحبة أهل العلم والمقامات، والترفع عن الدناءات في الكلمات والأعمال والخطرات.

أما شغل الوقت بالنافعات: فإن المشغول بالخير لا يستهويه الشر والمشغول بالعلم لا يستميله الجهل والمشغول بالنافعات لا تعنيه المضار والناقصات.

وأما صحبة أهل العلم والمقامات: فإن من جالس الكبراء رفعوه ومن صاحب الفضلاء نفعوه، فدربوه على الحلم والعفو والإعراض عن الحمق والجهل.

وأما الترفع عن الدناءات في الكلمات والأعمال والخطرات: فإن مَن سما لفظه وحسن عمله وصفت خواطره نأى بنفسه أن تجاري الحمقى أو تباري النَّوكى.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين